

## الملاحظات

### مواضيع "لوح السلطان"

كان ناصر الدين شاه الملك الوحيد الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بدعوة حضرة الباب من بدايتها. فقد اطلع بمولدها بعد شروع تلاميذ حضرة الباب الأوائل بنشر أمره بفترة قصيرة، وشهد تألقها بتلك السرعة الباهرة. حظي وهو ما زال ولي عهد المملكة، بلقاء صاحبها والمؤسس لها وجهاً لوجه والاستماع إليه وهو يعلن، بصوت يدوي بالسلطنة السماوية والثقة، وسط مجمع من علماء الدين وكبار شخصيات آذربيجان، هذه الكلمات الجليلة: "أنا هو ذلك القائم الموعود الذي ظلتم ألف سنة تقولون لظهوره (عجل الله فرجه)، أنا هو ذلك القائم الذي كنتم تنتظرون ظهوره. وإن طاعتي واجبة على أهل الشرق والغرب جميعاً."

بعد أن شهد شخصياً الحماس والانديفاع الهادر للبابيين، وبعد أن راقب في حالة من الخوف والهلع ما أنزله هؤلاء من هزائم مهينة بجيشه،<sup>(1)</sup> قام بمعاونة وزرائه

(1) في أيام حضرة الباب اضطر المؤمنون للدفاع عن أنفسهم ضد الأعداء. فنتج عن ذلك مواجهات دموية أحرز فيها البابيون انتصارات على أعدائهم. لكن حضرة بهاء الله أمر أتباعه بعدم استعمال العنف إذا اعتدي عليهم في سبيل الله. للمزيد من التفاصيل عن الموضوع انظر المجلد الأول، الصفحات 294-295، والصفحة 253 من هذا المجلد.

وتحريضٍ من رجال الدين، على محو الجامعة الوليدة من أرض إيران. ففي عهده أعدم حضرة الباب، واستشهد آلاف من أتباعه، وحُبس حضرة بهاءالله ثم أبعد إلى العراق، بالإضافة إلى العديد من الفطائع الشيعية التي ارتكبت في حق طائفة مظلومة.

لهذا كله فإن حضرة بهاءالله، في أحد ألواح، يندد بناصر الدين شاه بهذه الكلمات:

"من بينهم (سلاطين الأرض) سلطان إيران، الذي علّق هيكل الأمر (حضرة الباب) في الهواء وقتله بقسوة ناح لها كل الموجودات وأهل الجنة العليا وسكان الملاء الأعلى. وفضلاً عن ذلك قتل بعض المقربين وسلب أموالنا وسلّم أهلنا لأيدي الظالمين وحبسنا مراراً. تالله الحق لن يقدر أحد أن يحصي ما ورد علينا في السجن إلاّ الله المحصي العليم القدير. وبعد ذلك أخرجونا وأهل الله من الوطن ثم وردنا العراق بحزنٍ مبينٍ وأقمنا هناك إلى أن قام علينا سلطان الروم (سلطان تركيا) وأحضرنا إلى مقر سلطنته. فلما بلغناها ورد علينا من البلاء ما فرح به سلطان إيران، ثم وردنا هذا السجن حيث قصرت يد أحبائنا عن أذيالنا، كذلك كان مسلكه حيالنا."

على ضوء هذه البيانات، فإن لوح حضرة بهاءالله الموجّه لناصر الدين شاه يكتسي مغزى خاصًا. فرغم أن الشاه كان يعرف حضرة بهاءالله، الذي كان يضطهد أتباعه، وبالنظر إلى خلفيته الدينية، كان بوضع يمكنه من التجاوب وفهم دعوة حضرة بهاءالله وحججه ومصطلحاته. إلا أنه يبدو أن حضرة بهاءالله اختار في تنزيل هذا اللوح، أن يستعمل، في بعض المقاطع المعينة، كلمات وتعابير عربية صعبة وغير مألوفة، عسى أن تدفع بالشاه للاستقصاء عنها وطلب عون رجال الدين لدى قراءته إياها. وفعلاً كان هذا ما فعله الشاه تحديداً. فقد دفع باللوح للنقباء وطلب منهم أن يحرروا جواباً عليه. لكنها كانت مهمة لم ينجزوها.

إن "لوح السلطان" هو أطول لوح أنزل لأي ملك. بقسميه العربي والفارسي، جاء بأسلوب يجمع بين الجمال والبلاغة. ترجم حضرة شوقي أفندي جزءاً صغيراً منه إلى الإنكليزية.<sup>(2)</sup> ولو أنه أنزل في أدرنة، لكن هذا اللوح قد أرسل من عكاء. كان المكلف بتسليمه (للشاه) شاب في السابعة عشر من العمر، ملقب بـ "بديع"، ارتضى بالاستشهاد بعد أن حقق مهمته بتسليم اللوح شخصياً إلى يد الشاه. سنعرض لسيرة هذا الشاب - "فخر الشهداء" - واستشهاده في المجلد التالي.

في هذا اللوح يستحلف حضرة بهاءالله السلطان لينظر "إلى العباد بلحظات أعين" رأفته ويحكم "بينهم بالعدل". ويؤكد بأن "ستفنى الدنيا وما فيها من العزة والذلة". يدل على ذلك بالنظر إلى رفات مالك ومملوك حيث يستحيل التمييز بينهما. ففي

(2) مقتبس في كتاب "The Promised Day Is Come" الصفحات 40-43، 46، 75.

حالهـما ذاك لا يتميـز الغنى عن الفقر ولا الحاكـم عن المحكوم بل يقرر حضرته أن امتياز الإنسان وفضله في نبل أعماله وتقواه .

في مواضع عديدة ينصح حضرة بهاءالله الشاه ألا يعلّق اهتمامه بهذه الدنيا الفانية، مذكراً إياه بمن عاش قبله من مشاهير الحكام ممن لا أحد يذكرهم اليوم، فلم يبق منهم غير "أماكنهم الخالية"، وقد تبددت خزائنها وزالت عزتهم ومجدهم . كذلك جاء للدنيا ما لا يحصى من "العلماء والفضلاء والأمرء" ثم ولّوا دون أثر وراءهم . فانمحت قوتهم وبادت سيظرتهم ونُسيت أسماءهم .

في أكثر من مرة يحث حضرة بهاءالله الشاه على أن يكون عادلاً، ويدعوه ليحكم بينه وبين أعدائه . بهذه الكلمات يخاطبه :

"قل يا سلطان فانظر بطرف العدل إلى الغلام ثم احكم بالحق فيما ورد عليه إن الله قد جعلك ظله بين العباد وآية قدرته لمن في البلاد أن احكم بيننا وبين الذين ظلمونا من دون بينةٍ ولا كتابٍ منيرٍ، إن الدين في حولك يحبونك لأنفسهم والغلام يحبك لنفسك وما أراد إلا أن يقربك إلى مقر الفضل ويقلبك إلى يمين العدل وكان ربك على ما أقول شهيداً ."

## اضطهاد البابين

هناك فقرة أخرى في اللوح تخص أولئك المسؤولين في حكومة الشاه وبلاطه ممن يحبون الملك لأجل مصلحة أنفسهم. يندد حضرة بهاء الله بهؤلاء موضحاً موقفهم بأنه بدلاً من العمل لمصلحة الأمة ورخائها، فإن خدماتهم للشاه تمثلت بصفة رئيسة في التنديد بنفوس قليلة من الناس لكونهم بابين، ثم العمل على قتلهم ونهب أموالهم وممتلكاتهم.

إن تاريخ أمر الله يثبت بجلاء هذه الحقيقة. فقد دأبت السلطات في إيران عبر عدة عقود من السنين على اكتساب شهرة وشعبية لنفسها في أنظار الشعب عن طريق اضطهاد أتباع حضرة الباب وحضرة بهاء الله. فكانت أفضل وسيلة للقضاء على عدو أو التنكيل به، هي اتهامه بأنه صار بابياً. في هذه الحالة يكون رد الفعل ضده فورياً تقريباً وغالباً ما يكون قاضياً عليه. فالمتهم لا يجد متسعاً كي يثبت براءته قبل أن يجد نفسه أمام أشد اضطهاد بما فيه الموت.

لقد كتب الحاج ميرزا حيدر علي قصة مضحكة لسيد من إصفهان تمثل هذه النقطة. يذكر كيف أنه في أوائل انتشار أمر الله في إصفهان، كان قد تعرّف على سيد من طلبة الشريعة. أصبحا صديقين وتحدّث الحاج معه حول الدين البابي. سرعان ما اعترف السيد بالأمر الإلهي وآمن به وقدم لبعض المؤمنين وأعطى بعض كتابات حضرة الباب ليقرأها. فيما بعد سمع الحاج من مصدر موثوق بأن السيد المذكور لم يكن

شخصاً مخلصاً، بل كان مُخبراً غرضه الحقيقي التعرف على هوية المؤمنين بهدف تقديم هذه المعلومات إلى الأعداء. أدرك الحاج بأن خطراً داهماً أصبح ينتظر المؤمنين الذين سيصبحون هدفاً للاضطهاد والاستشهاد. لمعت في ذهنه فكرة تبرهن على مدى يقظته وحنكته. فقرر أن خير وسيلة للتخلص من هذا السيد هي فضح انتمائه إلى البابية. فاتهماً كهذا يكون كفيلاً بفراره عن المدينة. يكتب في هذا السياق:

كنت على دراية بأن السيد يقيم في مدرسة "بيد آباد"... فذهبت إليها وأعلمت مديرها... بأن ذلك السيد كان بابياً وبحوزته بعض الكتابات البابية. وفي ذات الوقت، وبإشارة مني، قام شخص بتخويف السيد وتحذيره بأن يكون على حذر. كانت النتيجة أن دب الرعب فيه بدرجة أنه هرب من المدينة تاركاً وراءه كافة كتبه وأمتعته، ولم يعد بعدها!

قصة أخرى تعرض الأخطار الناجمة عن إصاق تهمة الانتماء إلى البابية بشخص هي قصة الملاً محمد القائي، الملقّب بـ"النبيل الأكبر"،<sup>(3)</sup> واقتطفت عن مذكراته المنقولة كما سجّلها ابن أخيه اللامع الشيخ محمد علي القائي. حدثت القصة حينما كان حضرة بهاءالله مسجوناً في سياه چال بطهران وانطلاق حملة عظيمة من جانب الحكومة لإبادة البايين. لم يكن النبيل الأكبر، وهو رجل دين ذو معرفة واسعة، بابياً

(3) لمزيد من المعلومات عنه، راجع المجلد الأول، الصفحات 95-100.

في ذلك الوقت. كان قد حل بطهران في أوج الاضطهادات ضد البابيين وهو في طريقه إلى مدينتي كربلاء والنجف في العراق. إبان توقيفه بطهران أقام في مدرسة دينية برئاسة الشيخ عبد الحسين. فيما يلي وصفه لأيامه بطهران:

لم يكن الشيخ عبد الحسين (مدير المدرسة) ملماً بالفلسفة الإلهية والغيبيات،<sup>(4)</sup> ولكنه كان مهتماً بهذه المواضيع. لذا كان يدعوني للعشاء في الأمسيات ليستطلع بآرائي وأراء الفلاسفة الآخرين المختصين بهذه العلوم.

حدث في تلك الآونة أن قام أحد البابيين بمحاولة قتل الشاه.<sup>(5)</sup> وعليه تأججت في صدر الشاه نيران الغضب وأمر بإبادة البابيين. كُلف بتلك المسؤولية ضابطان في طهران هما عزيز خان سردار ومحمود خان الكلانتر. ففي كل يوم كان يُقبض على مجموعةٍ من الناس ويُساقون للإعدام. بلغت الحالة من الخطورة بحيث أن أي شخص يُتهم بأنه بابي ولو افتراءً، فإنه يلقي نفس المصير ولا سبيل لخلاصه.

حدث أن بعض الطلاب الذين لم يعجبهم اهتمامي بالفلسفة ولم يحبوا الفلاسفة إطلاقاً... قد وشوا بي لدى محمود خان واتهموني بأني بابي. كنت أمضي ليلة في

(4) في سابق أيامه كان النبيل الأكبر قد برع في مادتي الفلسفة الإلهية والغيبيات. ذهب إلى العراق في وقت لاحق من عمره حيث أصبح مجتهداً شهيراً ونال صيتاً واسعاً.

(5) انظر "كتاب القرن البديع".

حي سنكيلاج في منزل طبيب كان صديقاً لي طيب النية. أثناء وجودي هناك وصل في الصباح الباكر بعض الجنود واقتادوني إلى دار محمود خان الكلانتر. لكنني تمكّنت من إرسال بضعة أسطر إلى الشيخ عبد الحسين لأحيطه علماً بالموضوع.

بينما كنت في دار الكلانتر، اقتادوني إلى طابق علوي حيث التقيت برجلٍ متقدم في السن... كان قد قبض عليه لنفس السبب. لما رأني حزن كثيراً، وعبر عن تعاطفه وسأل الله، بعيون دامعة، أن يخلصني.

بعدئذ سمعنا ضوضاء غريبة في قسم آخر من الدار. سمعنا صراخ بعض الناس وأنيهم، تبين لنا أنهم ممن قبض عليهم وكانوا يعانون من ضرب الكلانتر وتعذيبه. بعد ذلك صعد الأخير إلى الطابق العلوي ودخل غرفة في مقابل غرفتنا. بدون استئذانٍ منه، قمت بعد دقائق قليلة ودخلت إلى غرفته وألقيت عليه التحية. لم يرد عليّ، بل تجاهلني بغضب. فسألته: 'ما سبب استدعائي إلى هنا؟' قال: 'لأجل تنفيذ أمر الشاه.' سألته: 'ما ذنبي؟' أجاب: 'هل من جريمةٍ أعظم من كونك بابياً، عدو الدين والحكومة؟' قلت مُدافعاً: 'هذا اتهام باطل ضدي، وكل من أخبر بأني بابي هو عدو لي ولم يكن هدفه سوى إيذائي.' تبين لي أن كلماتي لم تؤثر شيئاً فيه. وعليه لم أتابع الموضوع أبعد من ذلك وفوّضت أمري للقدر المحتوم.

في أثناء ذلك، وصل أمين سر الشيخ عبد الحسين وسلّمه رسالة. بعد قراءتها استرخى وبدا عليه السرور وأخذ يعتذر. قال: 'يريد الشيخ أن يلتقي بك. فالأجدر



أن تذهب إليه حالاً، ولما قمت لأغادر، نهض هو الآخر واصطحبني إلى الباب مكرراً اعتذاره عدة مرات.

توجهت إلى المدرسة حيث كان الشيخ وآخرون بانتظاري. سرّ جداً لدى وصولي. وإذا كان مدفوعاً بحب الاستطلاع عن الحادث، فقد أراد معرفة سببه. فقلت: 'الأحرى أن توجه السؤال لتلاميذك المغرورين الذين اتهموني بالباطل وحطّوا من قدري دون مبرر.' لدى سماعه قلبي اغتاض الشيخ عبد الحسين جداً وانهاه على تلاميذه باللوم والتفريع وتوعّد المذنب بعقاب شديد وطرد.

إلا أن هذه الحادثة، وإن لم تستند إلى أساس، تسببت في أنني أصبحت معروفاً بأبي بابي لدى الفقهاء وطلاب الشريعة. في النهاية وصلوا إلى الاعتقاد بأني كنت فعلاً بابياً وأنه قد قبض عليّ. لكن بوساطة من الشيخ عبد الحسين، تم الإفراج عني. وصرت مشهوراً كبابي لدرجة أن الناس في الطرقات والأسواق كانوا يشيرون إليّ، بل إن بعض الطلاب الدينيين صاروا يتجنبونني في الطرقات لئلا تلامس ملابسهم ملابسني.<sup>(6)</sup>

ذات ليلة، بعد أن صرت معروفاً بأبي بابي، زارني سيد اسمه يعقوب، من أهالي قائن، الذي كان يقيم في نفس المدرسة. سرعان ما تبين لي بأنه بابي يكتم عقيدته. قال لي مازحاً: 'أتعلم أنك صرت معروفاً بهذه المدينة أنك بابي؟ فالفقهاء والتلاميذ جميعهم يشيرون إليك باسم بابي، بل ويعتبرونك من أفراد تلك

(6) أشاع الفقهاء هذه الممارسة. تعليلهم هو أنه لو لمس مسلم بابياً لتجنّس.

الطائفة. فأجبت: 'لكن هذه الإشاعات لا أساس لها. إذ إنني لا أعرف شيئاً عن هذه الطائفة عدا اسمها، ولم أقرأ حتى سطر واحد من كتاباتها، كما لم ألتق بأحد من أفرادها.' قال: 'على أية حال فإنك أصبحت معروفًا بأنك بابي. أما رأي الناس عنك فلن يتغير سواء قرأت كتابات الباب أم لم تقرأ، أما أنا فقد تيسر لي بعض هذه الكتابات لكنني لا أفهمها. ولما وجدتك شخصاً غير متعصب وموثوق، وذا بصيرة وذوقٍ راقٍ، فقد أتيت بها عسى أن تقرأها. سأكون شاكرًا لو تفيدني بانطباعاتك واستنتاجاتك عنها فيما بعد.' فأخرج من جيبه بعض الأوراق وسلمها لي وغادر.

تصفّحت الأوراق دون عناية أو اهتمام بل للتسلية. نظرًا لأن ذهني كان متشربًا بكلمات الفلاسفة وأقوالهم ومعتادًا على مصطلحاتهم، لم تترك هذه الكتابات في نفسي أي انطباع يُذكر، بل وجدتتها على جانب من الضعف وخالية من أية حقيقة أو حكمة. لذلك طمرتها تحت كتبي.

جاءني السيد يعقوب في المساء التالي يستفسر عمّا وجدته. قلت: 'نظرت في الكتابات نظرة خاطفة ولم أجد فيها موضوعًا يستدعي الاهتمام. إن هؤلاء الناس المساكين (أي البابين) يجازفون بأشد الأخطار عبثًا، ويضحون بحياتهم في الضلال. إن عوام الناس معذورون لأنهم لا يميزون بين الصواب والخطأ، لكن لماذا ينبغي لفئة من المتعلمين السلوك في هذا الطريق ويصيرون سببًا في تضليل عامة الناس؟ إن

ادعاءات الباب باطلة بنحوٍ واضحٍ مشهودٍ، وليس من حاجة لإثبات وقوع البابين في الخطأ.

لدى سماعه هذه الكلمات اضطرب السيد يعقوب. ظل واجماً لبعض الوقت دون كلامٍ أو نظيرٍ تجاهي... ثم نهض وبينما كان يهم بالخروج تلا هذا البيت من قصيدة:

رُب علمٍ وذكاءٍ حادٍ بالطالب وأضله كاللص عن الصواب  
بعد ذلك خاطبني بهذه الكلمات:

’... تمعّن بالمدلولات والحقيقة الباطنة في هذه الكتابات عسى أن ترى فيها ما لم تر عينٌ أو تسمع أذنٌ وتتحمس ما لم يمس قلب.’ غادر الغرفة والخيبة بادية عليه. فتأمّلت لبعض الوقت في حال السيد وأفكاره. انتابني القلق من جراء شعوره بالخيبة، إذ صرت أشك بأنه قد يكون بابياً يسعى لتضليلي...

ولأجل أن أبرهن للسيد على بطلان دعوة الباب، وإنقاذه من إتباع طريق الضلالة، أخرجت كتابات الباب ورحت أقرأها بإمعان بغية الاستدلال على بطلان دعوته من نفس كتاباته. ولو أن هذا كان تعليلي في قراءة هذه الكتابات، لكنني أحسست بخوف ورعشة تجتاحان أعماق كياني وأخذني القلق. كأنني كنت واقفاً على الصراط<sup>(7)</sup> في مفترق طريق الموت والخلاص. إلا أنه في هذه المرة، ولشدة عجبني، شعرت وأنا أقرأها بأن في كل سطرٍ

(7) انظر الصفحة 72، الحاشية. (أ.ط.)

تفتّح بابٌ من المعرفة أمام وجهي ، وظهر عالم جديد قبالة عيني . لم أستطع النوم في تلك الليلة . زاد عجبي كلما مضيت في قراءتها والتمعن بها . شعرت كالغوّاص الذي ينغمس في عمق المحيط ويستخرج اللؤلؤ النفيسة . سرعان ما تبين لي بأن أحقية أمر النقطة الأولى<sup>(8)</sup> كانت لائحة كالشمس في رابعة النهار . عندها شعرت وقد صار لي قلب جديد ، وبصر جديد ، وروح جديد ، وقوة جديدة . أدركت في نفس الوقت بأن كل ما تعلّمته من قبل من العلم والفلسفة وافتخرت به ، أصبح بنظري عدماً صرفاً...

جاءني السيد يعقوب مساء اليوم التالي . عندما سمع قصتي اهتز فرحاً واستبشاراً وسجد لله حمداً وشكراً . كان لخبري أثر مذهل آسر . فامتزجت دموع الفرح المنهمرة على خديه مع قهقهات الضحك التي ترددت في أنحاء الغرفة . بعد ذلك استمر يمدّني بمزيد من الكتابات ...

---

(8) حضرة الباب .

## مقام حضرة بهاء الله

عودًا لـ"لوح السلطان"، هناك فقرة شهيرة فيه حيث يصف حضرة بهاء الله ظهوره بلغة تكتسي جمالاً وقوة:

"يا سلطان إني كنتُ كأحدٍ من العباد وراقداً على المهاد مرّت عليّ نسائم السبحان وعلمني علم ما كان ليس هذا من عندي بل من لدن عزيزٍ عليم، وأمرني بالنداء بين الأرض والسماء وبذلك ورد عليّ ما تدرّفت به عيون العارفين، ما قرأتُ ما عند الناس من العلوم وما دخلتُ المدارس فاسئل المدينة التي كنتُ فيها لتوقن بأني لست من الكاذبين، هذه ورقة حرّكتها أرياح مشيئة ربك العزيز الحميد هل لها استقرار عند هبوب أرياح عاصفات؟ لا ومالك الأسماء والصفات بل تحركها كيف تريد. ليس للعدم وجود تلقاء القدم قد جاء أمره المبرم وأنطقني بذكره بين العالمين. إني لم أكن إلا كالميت تلقاء أمره قلبتني يد إرادة ربك الرحمن الرحيم، هل يقدر أحدٌ أن يتكلّم من تلقاء نفسه بما يعترض به عليه العباد من كل وضع وشريف؟ لا فوالذي علّم القلم أسرار القدم إلا من كان مؤيداً من لدن مقتدرٍ قدير."

تشهد هذه الكلمات على سمو مقام حضرة بهاءالله. ذلك بأنه ينسب ظهوره لله وحده، يعلن بأن علمه لدنّي وليس مكتسباً، يصف تسليمه لأمر الله ويبيّن بأن كل عمل يصدر عنه إنما هو من عند الله. إن أي مراقب محايد متبصّر روحانياً يمكنه أن يستدلّ حالاً، من الفقرات سالفه الذكر، على أحقية أمر حضرة بهاءالله. ذلك لأن ما من بشر سوي العقل، مدفوعاً بدافع أناني أو شخصي، يمكنه القيام بادعاء هائل كهذا، وإبلاغه إلى الملوك، والتعرض بسببه إلى الاضطهاد ومع ذلك يثبت عليه حتى النهاية. فلا يمكن لأحد أن يتكلّم كما تكلم حضرة بهاءالله سوى مظهر إلهي.

هناك تعليق مثير للاهتمام من قبل حضرة عبدالبهاء بخصوص المقطع السابق:  
"كنتُ كأحد من العباد وراقداً على المهاد مرّت عليّ نسائم السبحان وعلمني علم ما كان...". يفسّر ذلك بقوله:

"هذا مقام التجلي وهو معقولٌ وليس بمحسوسٍ وهو منزّه عن الزمان الماضي والحال والاستقبال فهذا تمثيلٌ وتعبيرٌ مجازٌ لا حقيقة وليس المقصود منه أنه كان حقيقة نائماً ثم استيقظ بل هو عبارة عن انتقال من حال إلى حال. مثلاً:

النوم حال السكون والتيقظ حال الحركة. النوم حال الصمت واليقظة حال النطق. النوم حال الخفاء واليقظة حال الظهور. مثلاً يعبر بالفارسية والعربية أن الأرض كانت نائمة فاستيقظت بمجيء الربيع. أو الأرض كانت ميتة فأحييت بمجيء الربيع. فهذا تعبير تمثيلي وتشبيه وتأويل في عالم المعاني.

والخلاصة أن المظاهر المقدسة كانت ولا تزال حقائق نورانية لا يحصل التغيير والتبديل في ذواتها وغاية ما هنالك أنهم يكونون قبل الظهور ساكنين صامتين كالنائم ويكونون بعد الظهور ناطقين ومشرقين بمثابة اليقظان. " لقد سبقت الإشارة إلى شرح<sup>(9)</sup> حضرة عبدالبهاء بأن المظهر الإلهي هو دائماً مظهر إلهي وفي ذاتيته تكمن سائر الصفات الإلهية قبل بعثته بزمن طويل. في أحد ألواحه يهبنا حضرة بهاءالله لمحة من تلملم التجلي الإلهي بباطنه في أوائل أيام حياته. ولو أننا لن نتمكن من فهم حقيقة ما حدث فهماً كاملاً ولن ندرك كل ما انطوت عليه تلك التجربة، إلا أن القصة بحد ذاتها تبعث على الرهبة والذهول. يصرح حضرة بهاءالله<sup>(8)</sup> بأنه حدث ذات مرة في طفولته أن قرأ<sup>(10)</sup> قصة سفك الدماء الذي وقع في مذابح قبيلة قريظة،<sup>(11)</sup> كما رواها الملا محمد باقر المجلسي.<sup>(12)</sup> يروي كيف استولى عليه إحساس شديد جارف من الحزن والغم لدى قراءته هذه الحادثة. حينذاك شهد المحيط اللامتناهي لرحمة الله وغفرانه يتموج أمامه. فابتهل إلى الله أن يهب كافة سكان الأرض ما يوطد الاتحاد والمحبة بين قلوبهم. ثم يصف كيف أخذته ذات يوم حالة قبيل الفجر، وبنحو فجائي، بحيث كان لها أثر على تصرفاته وأفكاره وأقواله تأثيراً

<sup>(9)</sup> انظر المجلد الأول، الصفحة 220.

<sup>(10)</sup> في أيام حضرة بهاءالله، كان القرآن الكريم أول كتاب يتعلم الأطفال قراءته، ثم يليه ما تيسر من كتب عن الدين الإسلامي والشعر.

<sup>(11)</sup> تفاصيلها معروفة في تاريخ الإسلام.

<sup>(12)</sup> علامة ديني شهير، ومؤلف سلسلة كتب معروفة بـ"بحار الأنوار" تضم أحاديث إسلامية وروايات أخرى. يعتبر الشيعة هذه المجموعة كموسوعة للعلوم الدينية الشيعية.

تمامًا. كان تجليًا بشره بما اختص به من سطوة ورفعة، واستمر لمدة اثني عشر يومًا. عقب ذلك يشهد بأن بحر بيانه بدأ يتموج،<sup>(13)</sup> وشمس الإيقان أشرقت واستمر على هذه الحال حتى أظهر نفسه للبشر. يشهد كذلك في نفس اللوح بأنه في هذه الدورة قد رفع، من ناحية، عن الدين كل ما هو سبب العناء والفرقة، ومن الناحية الأخرى، أتى بكل ما هو علة اتحاد الجنس البشري.

يكشف حضرة بهاء الله في "لوح السلطان" للملك المقام السامي الذي ينتظره لو أنه آمن بمطلع الوحي الإلهي في هذا اليوم، يخاطبه بهذه الكلمات:

"أن يا سلطان لو تسمع صرير القلم الأعلى وهدير ورقاء البقاء على أفنان سدرة المنتهى في ذكر الله موجد الأسماء وخالق الأرض والسماء ليبلغك إلى مقام لا ترى في الوجود إلا تجلي حضرة المعبود وترى المُلْك أحقر شيء عندك تضعه لمن أراد وتتوجه إلى أفق كان بأنوار الوجه مضيئًا، ولا تحمل ثقل المُلْك أبدًا إلا لنصرة ربك العلي الأعلى إذا يصلين عليك الملاء الأعلى، حبذا لهذا المقام الأسنى لو ترتقي إليه بسلطان كان باسم الله معروفًا."

تحدي علماء الدين

<sup>(13)</sup> يهب الله مظهر أمره قوة كلماته. ويشهد الذين تشرفوا بمحضر حضرة بهاء الله بأنه عندما كان ينطق فكأنما يتموج البحر الهادر. وتكون كلماته رقيقة وقوية في آن معًا.



في لوحه هذا إلى الشاه، أقدم حضرة بهاءالله على عرض له مغزى في غاية الأهمية، عرض لم يسبق أن قدّمه مظهر إلهي ممن سبقوه إطلاقاً. يصرح بقوله:

"يا ليت رأي الملك السيد يقرّ على اجتماع علماء العصر بهذا العبد حتى يأتي في محضره بالحجة والبرهان، فهذا العبد مستعد ويسأل الله متمنياً عقد مثل هذا المجلس حتى تتضح وتلوح في سُدّة حضرة السلطان حقيقة الأمر وبعد ذلك الأمر بيدك وأنا حاضر تلقاء سرير سلطنتك فاحكم لي أو عليّ..."

بهذا التحدي لا يمكن القول بأن حضرة بهاءالله قد قصّر في واجبه تجاه إثبات أحقية أمره، أو استعداده للقيام بذلك، أمام ملاء الأرض.

في هذا اللوح يتحدث حضرته عن علماء الدين، ويشير إلى نفاقهم وقلة إدراكهم، ويستشهد ببعض الأحاديث الإسلامية التي تنبئ بفساد الفقهاء في آخر الزمان ويبين بأن الفقرات التالية التي أنزلها في "الكلمات المكنونة" إنما تخاطب أولئك الذين عرفوا بالعلم والتقوى في الظاهر، بينما في باطنهم كانوا أسراء النفس والهوى:

"يا أيها الجهلاء المعروفون بالعلم

لماذا تدعون في الظاهر بأنكم الرعاة ثم غدوتم في الباطن ذئاب أغنامي، إنما مثلكم كمثّل نجم ما قبل الصبح، فهو دريٌّ منيرٌ في الظاهر، إلا أنه في الباطن سبب إضلال قوافل مدينتي ودياري وهلاكها.

وكذلك يتفضل قائلاً:

"يا من تزين ظاهركم وخبث باطنهم

إنما مثلكم كمثّل ماءٍ مريّرٍ صافٍ، يرى فيه الرائي كمال اللطف والصفاء في الظاهر، فإذا اختبره مذاق الأحذية لم يقبل منه قطرةً واحدةً، أجل إن تجلي الشمس في التراب والمرآة سواء، ولكن اعلم أن الفرق بينهما كالفرق بين الأرض والفرقدين بل الفرق بينهما ليس له انتهاء.

وكذلك يتفضل قائلاً:

"يا جوهر الهوى

كم من أسحارٍ أقبلتُ فيها من مشرق اللامكان إلى مكانك ووجدتُك على فراش الراحة منصرفاً إلى غيري. فرجعتُ كالبرق الروحاني إلى غمام العز السلطاني وفي مكان من قربي عند جنود القدس لم أظهر أمرك.

وكذلك يتفضل قائلاً:

"يا عبد الدنيا

في الأسحار مرّ بك نسيم عنايتي ووجدك على فراش الغفلة نائمًا فبكي حالك  
وعاد.

## "سيف الحكمة والبيان"

في "لوح السلطان" يسعى حضرة بهاءالله لإزالة بعض ما علق بذهن الشاه من الشكوك والظنون بخصوص نشاطات المؤمنين (البابيين والبهائيين). علينا أن نتذكّر بأن السلطات في إيران أبدت تخوّفها من نفوذ الطائفة البابية منذ انبثاق فجر الدين البابي. فالأسلوب الذي دافع به البابيون عن أنفسهم ضد اعتداءات أعدائهم وهجماتهم أكسبهم صيتًا عظيمًا في البسالة الشديدة والروح الفدائية العالية. في ذات الوقت خشي معظم الناس من نواياهم وراء حرصهم على دعم مصالح عقيدتهم. كان من نتائج المحاولة الخرقاء الفاشلة على حياة الشاه، والتي قام بها بضعة أنفس من البابيين عديمي المسؤولية، أن اعتبرت الحكومة البابيين بأنهم رجال عنف منذ وقوع تلك الحادثة سنة ١٨٥٢م. لذا يؤكد حضرة بهاءالله ويطمئن الشاه بلغة مقنعة بأنه منذ وروده إلى العراق سعى في نصح أفراد هذه الطائفة لكي يتخلّوا عن روح النزاع والجدال، وأمرهم بوضع السيف، والتوجّه لفتح مدائن القلوب بسيف الحكمة والبيان. يستشهد حضرة بهاءالله بعبارات من أحد ألواحه والتي يؤكد فيها للأحباء أن في سبيل الله: "إن تُقتلوا في رضاه لخير لكم من أن تُقتلوا". يصرح حضرته بأن الناس قد أساءوا

فهم معنى "النصر" الواردة في الكتب السماوية. فالنصر لا يُنال بالمحاربة بل يُكسب بالأعمال الطيبة والحياة الطاهرة.

يجدر في هذا الصدد ملاحظة أن ما قام به البايون دفاعاً عن النفس في مواجهة حملات الإبادة ضدهم، كان بسبب ظروف خاصة رافقت مولد دعوة حضرة الباب وانتشار رسالته. ولتقييم ذلك، علينا أن نطلع على الأحوال التي كانت سائدة في إيران آنذاك داخل المجتمع الشيعي وطبيعة بعثة حضرة الباب.

دعنا نتذكر بأن كافة مظاهر الله الذين سبقوا حضرة الباب قد أتوا ضمن دورة النبوءات التي بدأت بآدم،<sup>(14)</sup> باعتباره أول مظهر إلهي لتلك الدورة، وانتهت بدورة محمد رسول الله الذي كان خاتم النبيين. وكان كل واحد منهم قد تنبأ عن مجيء يوم الله وعبروا عن رؤياهم لـ "بهاء الله أو مجد الرب" عندما يُظهر نفسه للبشر.

إن الغايات الرئيسة من كشف حضرة الباب عن نفسه كانت من أجل التبشير بظهور حضرة بهاء الله وإعداد الناس لقدمه، وإسدال الستار على دورة النبوءات وافتتاح دورة تحقق النبوءات حين ظهور "بهاء الله" كما تنبأت به الكتب السماوية.<sup>(15)</sup> لذا فإن الإسلام، آخر حلقة في سلسلة دورة النبوءات، كان أشد ارتباطاً بظهور حضرة الباب من أي دين آخر.

<sup>(14)</sup> طبقاً للاعتقاد البهائي فإن قصة خلق آدم في الكتاب المقدس رمزية وكان آدم أول مظهر إلهي في التاريخ المدون (انظر مفاوضات عبدالبهاء).

<sup>(15)</sup> انظر الصفحتين 15-16.

ظهر حضرة الباب وسط ملة الإسلام، وكان المسلمون، شيعة وسنة، ينتظرون بتلهف ظهور دعوته ونزول رسالته حيث كانوا يتوقعون مجيء القائم الموعود والمهدي المنتظر على التوالي. كان التوقع هذا مبنياً على أساس نبوءات الرسول محمد وأئمة آل بيته بصفة خاصة الذين تركوا آلافاً من الأحاديث المختصة بظهور القائم.<sup>(16)</sup> وعليه فإن مجيء الموعود كان أمراً حقيقياً بالنسبة للمسلمين وسبق التنبؤ به بصراحة وجلاء تامين. إن الشيعة الذين ظهر حضرة الباب في وسطهم مجدّوا القائم في مجالسهم، وصلّوا بحرارة لمجيئه وكانوا يقومون عن مقاعدهم إذا ذكر اسمه احتراماً وإجلالاً. إن علاقة حضرة الباب بالإسلام كانت أعمق وأبعد من مجرد حقيقة نشأته ومولده مسلماً من محيط إسلامي وسيداً من نسل النبي محمد  $\mu$ ، بل يكمن مغزاها في أن بعثته الخاصة كانت لإنهاء الدورة المحمدية ونسخ أحكامها. فبلغت مهمته تلك من الخطورة والهول بحيث مجرد التأمل بها ألقى الرعب في نفوس الرجال وقلوبهم في إيران. بل حتى أن بعض أتباع حضرة الباب، أولئك الذين لم يستوعبوا قوة دعوته وكامل مغزاها، تزلزلوا وفقدوا إيمانهم لدى سماعهم إبطال أحكام القرآن وهي تُعلن في مؤتمر بدشت<sup>(17)</sup> بلسان عصبية متميزة من تلاميذه بعد إعلان حضرة الباب دعوته بأربع سنوات ونيف. لذا فإن نسخ أحكام الإسلام بعد أن مضى عليها اثنا عشر قرناً، لم يكن بالأمر الهين. فقد تعلّق الناس بها لعدة قرون وتشكّلت حياتهم وسلوكهم وفقاً

<sup>(16)</sup> انظر المجلد الأول، الصفحتين 203-204.

<sup>(17)</sup> للمزيد من التفاصيل انظر كتاب "مطالع الأنوار".

لنصوصها. وعليه لم يكن من الضروري عند إبطالها بجرّة "قلم" وجود قوة إلهية فقط، بل أيضًا حكمة ورحمة من لدنه.

إن مظاهر الله لا يبدّلون أحكام الشريعة السابقة فجأة أو قبل الأوان، كما إنهم لا ينزلون أحكامًا جديدة حتى يجدوا استعدادًا وقدرة لدى أتباعهم على العمل بها. يشرح حضرة بهاءالله بهذا الصدد متفضلًا:

"اعلم علم اليقين أنه في كل دور كان نور الوحي الإلهي على قدر الاستعداد الروحاني للبشر. انظر إلى الشمس كيف أن ضوءها يظهر خافتًا عند طلوعها على الأفق، ثم تزداد حرارتها وشدتها كلما اقتربت من نقطة الزوال، وبذلك تُمكن كل الكائنات من تتبّع نورها المتزايد، ثم تتضاءل بالتدريج إلى أن تغرب في مقرها. فلو كانت كل قواها تظهر دفعةً واحدةً لا شك تنعدم كل الأشياء... هكذا أيضًا شمس الحقيقة، إذا كانت في مرحلة ظهورها الأولى تشرق دفعةً واحدةً بكل القوى التي وهبتها العناية الإلهية إذاً لانعدمت واحترقت أراضي القلوب البشرية، لأن قلوب البشر لا تقوى على احتمالها ولا تستطيع أن تعكس أنوارها، وإذ يأخذها الرعب والصعقة فإنها تموت."

وهكذا يستدرج مظهر الله أتباعه، من خلال رحمته، لتقبّل الأحكام والسنن الحديثة ويقودهم من عالم إلى آخر، مرحلة بعد أخرى، داريًا كل الدراية بمدى تعلّقهم

بعاداتهم وتقاليدهم العتيقة. على سبيل المثال، لما ظهر الرسول محمد  $\rho$  كان العرب مدمنين على تعاطي الخمر بإسراف. لكن النبي لم يحرم الخمر دفعة واحدة. ففي البداية اكتفى بالإشارة إلى أن للخمر منافع ومضار، مبيناً بأن ضرره أزيد بكثير من نفعه. بعد ذلك بفترة، إبان عهده، نهى من كان تحت تأثير الخمر عن ممارسة الصلاة ثم أعقب ذلك النهي، بفترة أخرى، حينما بلغ أتباعه مستوى أعلى من نضج الإيمان، أعقبه باستنكار صريح وأمرهم باجتنابه.<sup>(18)</sup>

على غرار ذلك، فإن حضرة الباب وحضرة بهاءالله قد أنزلا الأحكام الدينية في تلك الأوقات خلال عهدهما عندما كان أتباعهما مستعدين لتقبلها. فحضرة الباب لم ينزل الجزء الأكبر من شريعته إلاّ حوالي منتصف فترة ولايته. وكذلك أنزل حضرة بهاءالله "الكتاب الأقدس"، كتاب أحكامه، عند منتصف فترة ولايته، وحتى في ذلك الحين، أرجأ نشره بضعة أعوام قبل إتاحة نسخة لأتباعه.

هناك ميزة أخرى بارزة في بعثة حضرة الباب بخصوص هذا الموضوع، وهي حقيقة كونها دورة قُدر لها أن تكون قصيرة جداً في أمدّها وأن تنسخها بعثة حضرة بهاءالله. وعليه فإن حضرة الباب قد جاء بأحكام وتعاليم كانت ضرورية لنشر أمره خلال فترة قصيرة. ولعلمه بأن ظهوره كان نقطة انطلاق لظهور إلهي عالمي، فإنه تعمّد الإحجام عن إتيان تعاليم لم يأن بعد وقتها مما نادى بها وأسسها حضرة بهاءالله فيما بعد حينما بلغ أتباعه درجة من الاستعداد تمكّنهم من تقبلها.

(18) انظر "القرآن الكريم"، سورة البقرة، الآية 219؛ وسورة النساء، الآية 43؛ وسورة المائدة، الآيتين 90-91.

مثال واحد على حكم كهذا موجود في الإسلام ولم يبدله حضرة الباب لاقتضاء الظروف السائدة آنذاك، هو حمل السلاح دفاعاً عن النفس في سبيل الدين. لذلك اضطر البايون للاشتباك في معارك عديدة كانت دفاعية في طبيعتها. ونادراً ما بادروا في الهجوم سواء بشكل فردي أم جماعي. تشهد بذلك بجلاء مواقع مازندران وزنجان ونيريز.<sup>(19)</sup>

حرص حضرة بهاءالله منذ أيام بعثته المبكرة، وفي مناسبات عديدة، على نصح البابين بالإقلاع عن الفكرة المتأصلة المتمثلة في القتال في سبيل العقيدة. لكن المؤمنين لم يدركوا بأن فجر يوم جديد قد طلع وبأن الوقت قد حان لإغماد السيوف إلى الأبد. أخيراً، وفي "الكتاب الأقدس"، حرم حضرة بهاءالله على أفراد المؤمنين حمل السلاح إلا عند الضرورة.

## بلايا حضرة بهاءالله

في ما يلي فقرات مقتبسة من "لوح السلطان" يعرض فيها حضرة بهاءالله بإسهاب ما تحمّل من بلايا وعذاب في سبيل الله:

<sup>(19)</sup> انظر "مطالع الأنوار".



"يا ملك قد رأيت في سبيل الله ما لا رأيت عينٌ ولا سمعت أذنٌ، قد أنكرني المعارف وضاق عليّ المخارف قد نضب ضحضاح السلامة واصفرّ ضحضاح الراحة، كم من البلايا نزلت وكم منها سوف تنزل، أمشي مقبلاً إلى العزيز الوهّاب وعن ورائي تنساب الحباب، قد استهل مدمعي إلى أن بُلّ مضجعي وليس حزني لنفسي تالله رأسي يشتاقي الرماح في حب مولاه، وما مررت على شجرٍ إلاّ وقد خاطبه فؤادي يا ليت قطعت لاسمي وصلب عليك جسدي في سبيل ربي... تالله لو ينهكني اللغب ويهلكني السغب ويُجعل فراشي من الصخرة الصمّاء ومؤانسي وحوش العراء لا أجزع وأصبر كما صبر أولو الحزم وأصحاب العزم بحول الله مالك القدم وخالق الأمم، وأشكر الله على كل الأحوال ونرجو من كرمه تعالى بهذا الحبس يعتق الرقاب من السلاسل والأطناب ويجعل الوجوه خالصة لوجهه العزيز الوهّاب، إنه مجيب لمن دعاه وقريب لمن ناجاه."

ويذكر حضرة بهاء الله الشاه أيضاً بأن سائر أنبياء الله ورسله قد تعذبوا على أيدي أبناء قومهم، ومع ذلك ما من أحد يتدبر سبب مثل هذا التصرف. ثم يستشهد بمحمد رسول الله ويذكر أسماء بعض أشهر أعدائه الذين قاوموه بشدة واستنكروا دعوته. يذكر أيضاً سيرة عيسى عليم السلام والحكم القاسي الذي أصدره ضده رؤساء الدين.

في "لوح السلطان" يسهب حضرة بهاءالله في ذكر ما تعرض له نفسه من بلايا واضطهاد في سبيل الله. فيتحدث عن سجنه في سياه چال، واصفًا ما لقيه من عذاب في ذلك السجن المظلم الموبوء، ومتذكرًا خلاصه من السجن بقوة الله وإرادته، وإبعاده إلى العراق بأمر من الملك بعد أن ثبتت براءته. ثم يطلع الشاه على حاله في العراق: معارضة فقهاء الشيعة، ومخططاتهم واعتداءاتهم الأثيمة التي تسببت في نصحه لبعض أصحابه طلب حماية حاكم العراق.<sup>(20)</sup> يصف أيضًا وصوله إلى الآستانة، وينبئ بنفيه التالي إلى عكاء وسجنه فيها، ويصفها بهذه الكلمات:

"ومما يحكون أنها أخرج مدن الدنيا وأقبحها صورةً وأردئها هواءً وأنتها ماءً كأنها دار حكومة الصدى."

في فقرة من "لوح السلطان" تميزت بعظمة البيان والقوة، يتنبأ حضرة بهاءالله بلغة جليلة لا لبس فيها بانتصار أمره وإقبال الناس إليه أفواجًا. يصرح بأن الله قد أسس سطوة دينه وغلبته، في سالف الدورات، بواسطة البلايا والعذاب، ولذا فإن حضرته يسأل الله أن يجعل في هذا اليوم من هذه البلايا والمحن أيضًا درعًا واقياً لدينه. ينزل العبارات التالية حول البلايا والمحن النازلة في سبيل الله:

(20) إشارة من حضرته لأصحابه الذين نصحهم بالحصول على الجنسية العثمانية.

"ونفسه الحق لا أجزع من البلايا في سبيله ولا من الرزايا في حبه قد جعل الله  
البلاء غاديةً لهذه الدسكرة الخضراء وذبالةً لمصباحه الذي به أشرقت الأرضُ  
والسماؤُ."

"كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ٢"

---